# التراث

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثالث - 1399 - 1979

WWW.ATTAWEEL.COM



أسد الدين شيركوه

# رسالة الصاهل والشاحج

## لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن ـ بنت الشاطىء ـ
منشورات دار المعارف بمصر ١٩٧٥

صالح مهدي العزاوي

الاعدادية المركزية ـ بعقوبة

احتفت الدكتورة عائشة عبدالرحمن المكتبة العربية بالعديد من الدراسات العلمية الجادة عن المعري ، وقد كان تحقيقها الرصين لرسالة الغفران من ابرز جهودها في ميدان التحقيق . ولقد أتاحت لها فرصة العمل بالمغرب مجالا للتعرف على خزائن الكتب في هذا البلد فكان ان وجدت ضالتها بالعثور على هذه المخطوطة .

حققت الرسالة على نسختين : الاولى النسخة الحلمية وتقع في ٢٢٠ ورقة مكتوبة بخط مغربي سنة ٦٢٨ وعدد الشواهد فيها ( ١٥٥٢ ) ، والثانية النسخة الحضرمية وتقع في ( ١٦٩ ) ورقة كتبت سنة ٦٧٤ وفيها من الشواهد مثل ما في سابقتها والنسختان محفوظتان في الخزانة الملكية بالرباط واظن ان المحققة قد لاقت عناء ومشقة في قراءة الخطوط وتخريج النص بسبب رداءة الخط كما يبدو من صور المخطوطتين .

قدمت المحققة لعملها بمقدمة علمية جيدة تناولت وصف النسختين والمفاضلة بينهما وتحققت من نسبة الكتاب الى المؤلف بما اعتمدت عليه من مصادر موثوقة وصححت غلطا شاع بين كثير من الدارسين في كون الرسالة مقدمة الى عزيز الدولة ثابت بن ثمال واثبتت انها قدمت الى عز الدولة ابي شجاع فاتك في ايام الحاكم وبعض ايام الظاهر بين ٤٠٧ـ ٤١٣هـ كما صححت الاوهام بالنسبة لكثير من الشخصيات التي وردت في الرسالة .

اجهدت المحققة نفسها في المقدمة دفاعا عن المعري ونفى كونه قد تاثر بكتاب كليلة ودمنة عند وضعه هذه الرسالة مستندة في هذا الدفاع الى مادة الرسالة واسلوبها، فحكايات كليلة ودمنة تعتمد على الحكايات القصيرة غير المترابطة بحكيها بيدبا الفيلسوف على لسان الحيوان مستفيدا من تلك الحكايات في سوق عبرة ما ، لكن المعري جعل الحيوان ناطقا بمشكلات الانسان وكان المؤلف راوية فحسب ، ثم ان مادة الرسالة وحدة فنية مترابطة ، وافادت في دفاعها ايضا عما ورثه الادب العربي القديم من قصص عن الحيوانات والطيور كما ورد في شعر امية بن ابي الصلت والنابغة وابي ذؤيب الهذلي ، وقد فات السيدة المحققة ان امثال الميداني زاخرة بهذه القصص كما ان حيوان الجاحظ يضم العديد منها ، وليس المعري بحاجة الى ان يتاثر بحكايات كليلة ودمنة وينهج نهجها وهو صاحب رسالة الغفران والقائف ، ثم ان المعري اشار صراحة في الرسالة انه تاثر بملاص ابن دريد وفتيا فقيه العرب لابن فارس ( انظر ص ٢٢٠ ) .

### خلاصة الرسالة

بدا المعري رسالته برفع مظلمة الى الحضرة العالية في حلب كلفه بها اقرباؤه حول قضيه ارض قاحلة تجبى منها المكوس وهي لا تدر فائدة لاهلها ، بعد ان يقدم المعري رسالته بمقدمة يظهر فيها التعسف والتعقيد اللفظي، ثم تدور أحداث الرسالة على لسان الشاحج ( البغل ) الذي يطلب من خاله الصاهل ( الفرس ) ان يرفع له مظلمة شعرية الى والي حلب، فيانف الصاهل من هذه المحاولة وينشا بينهما نزاع حاد وكان هذا النزاع قد هيا للمعري مادة خصبة للقول حيث ينطق كل منهما بابيات الصور الفنية والثروة اللفظية واحداث الكون ، ثم يحتكمان الى فاختة لفض النزاع ، فيرفض الشاحج هذه الوساطة لما يعرفه عن الفاختة من كذب ( مستفيدا من قصتها في مجمع الامثال ) فتغتاظ الفاختة من قدح الشاحج فيها فتحتكم الى البعير بعد ان صورت له معاداة الشاحج وقدحه فيه ايضا ... سرعان ما تنكشف مكيدة الفاختة فيندم الجمل على تسرعه وغضبه ويحاول ان يلتمس من الشاحج العفو ... ثم يدخل الثعلب الساحة وتنشأ بينه وبين الشاحج صداقة ومودة فيطلب منه هذا ان يتجول في مدينة حلب ليأتيه باخبار الناس وحال البلاط وكانت حلب تعيش في تلك الفترة حالة فزع من ناهب الروم لغزوها ثم ينهي المؤلف رسالته بتحية الختام الى عزيز الدولة .

ولك السلام والسلام فانني
ماض وهن على عـلاك حبائس

### اسلوب الرسالة

تتجلى في هذه الرسالة ـ شان مؤلفات المعري الاخرى ـ الصفات البارزة في اسلوب الرجل من حيث التعقيد اللفظي والميل الى المحسنات البديعية والرمز ، وانك لتجد امثلة ذلك مبثوثة في ثنايا الرسالة ، فمن تعقيده مثلا « لو جاء رجل في ظهري برس او سمل فراري او عاريا لا يصل الى الطرائد ولا الهبب يتلهف على منقل او تسميط تحذى له ام الهنيبر او غيرها من الهنيبر ٨٦ » ومثال عنايته بالبديع في قوله مثلا « ولهؤلاء القوم اريضة ليست بالاريضة ، هي من فلة العمل كالريضة ، غراسها ليس بعميم ، ونهرها بين الثمر كبني يربوع في بني تميم ٨٩ » وقوله مثلا « يامل هؤلاء الحسكل والامل ساحر ساخر ، وربما وجد هو الصادق ، وله نوعان كانهما برقان هذا خالب وهذا للمطر جالب ٨٤ » اما

أسلوب الرمز والايماء فقد جرت عليه كل الرسالة ، من حديثه بلسان الحيوان عن مشكلة مرت بها مدينة حلب ، وحديثه عن الطيرة والفال من خلال هذا الاسلوب واتخاذ اسماء الاعلام والحيوانات والازهار والثمار رمزا لامور اخرى ، فهو فندما يتحدث عن اسماء النباتات مثلا يقول « السماق للسيد عزيز الدولة قال بالسموق لانه جمع سامق اى اصحابه يسمقون العدو ويعلون ، واذا حملناه على الطيرة للعدو فهو سم اق اي اطلع يقال اق الرجل اطلع من كوة او غيرها ٦٧٥ » وقوله مثلا « الخوخ للعدو من الخوبخية اي الداهية ويسمي الفرسك اي فرسك يا بسيل اسد الدولة ٦٧٦ » وقد تحدث المعري عن العروض بما شاءت له عبقريته الفذة وخياله الخصب فذكر البحور وما يطرأ عليها من الزحافات والعلل ، وهو في كل بحر او في كل عيب بجمل المعنى منصرفا الى البشر، فالقافية عنده جماعة ببرزهم السلطان فيقفون العدو أي يضربونهم على قفيهم ، والروي الماء المروي المنزه عن روي الشعر ، والماء الروي هو فويق المبارك الذي اذا حمل على التصغير فهو قاق من قول العامة للغراب قاق فهو قال بالسعادة العائمة لملك هذا المصر ورعيته لان فويقا مد اجراه الله لحلب حرسها الله لم يصده عنها شيء فكان مثل قولهم ليس غرابهم بمطار ( انظر ص ٥٢٤ ) ، كما اتاحت فرصة الاستطراد لذكر العديد من امور اللغة والنحو واخبار العرب وايامهم .

وتتجلى في الرسالة ايضا صور السخرية اللاذعة والنقد المر ولعل مثال ذلك ما اضفاه على عزيز الدولة من انه ينظر في العروض وانه اسمح من لافظة وان قلبه اشجع من قلب اسامة وانه بالرعية ابر من الوالدة ....

## اهمية الرسالة

١ ـ تتحدث عن فترة تاريخية هامة في حياة حلب حين كانت تنهيب من غزو الروم لها ، فعلى هذا تعتبر الرسالة وثيقة تاريخية ذات فائدة كبيرة .

٢ ـ زخرت الرسالة بعدد هائل من الشواهد الشعرية التي اوردها المؤلف لبيان حقيقة او للدفاع عن راي او لتصوير مسالة ما ، وتبدو اهمية الشواهد الشعرية في كونها لم تقتصر على فترة زمنية محددة بل استشهد المؤلف لشعراء من جميع العصور وكان حصة امرىء القيس من بين الجاهليين كبيرة ( ٢٨ ) يليه الاعشى ( ٢٠ ) ثم زهير ( ١٨ ) وامية بن ابي‌الصلت ( ١٧ ) وكان اقل الجاهليين نصيباً الشنفرى ( ٢ ) وذكر للامويين ايضا فكانت حصة الفرزدق ( ٣١ ) يليه ذو الرمة (٢٤) ثم الراعي ( ٩ ) بينما استشهد لابن ابي ربيعة وتوبة وقيس مثلا ببيتين لكل منهما اما بالنسبة لشعراء العصر العباسي فقد استشهد للبحتري بسبعة ابيات ثم المتنبي ( ٤ ) ثم بشار ( ٣ ) ودعبل الخزاعي ( ٣ ) واقلهم ابو تمام ( ١ ) ، وبدت مدرسة الهذليين واضحة في الرسالة حيث ذكر لها المؤلف اكثر من ( ١٢٠ ) بيتا ، هذا اضافة الى المخضرمين من الجاهليين والاسلام وطبقة الرجاز اضافة الى ما ذكرته المحققة من الشواهد لشرح لغة او تبيان مسالة .

٣ ـ ذكر المعري في هذه الرسالة من الايات القرآنية ( ٩١ ) اضافة الى ما كان يذكره من القراءات المختلفة للاية وبعض الاختلاف في اعراب السور ، كما ذكر حوالي (٢٤) حديثا شريفا اما الامثال العربية فقد ذكر منها حوالي المائتين اضافة الى ما ضمنه في كلامه منها مع اختلاف في اللفظ ، وذكر من ايام العرب ثمانية عشر يوما وهي مادة تاريخية مفيدة .

٤ ـ بلغ عدد الكتب التي نقل عنها في هذه الرسالة اكثر من ستة وعشرين كتابا كالحماستين وجامع الزجاج وحد الاعراب للمفجع ومعاني ابن السراج ونوادر ابي زيد والاعرابي وكتابسيبويه .

٥ ـ في الكتاب ثروة لفظية عظيمة ومعارف لا يستغنى عنها في النحو والصرف والعروض .

## مآخذ التحقيق

قدمت لنا المحققة عملا جيدا وقد بدا جهدها واضحا في الكتاب ، فقومت النص وشرحت مايغمض من المفردات والابيات ولم تكتف بذلك بل جعلت الهامش مادة خصبة لكثير منالمعارف والاستطرادات اللغوية والتاريخية فاضافت الى مادة الكتاب مادة اخرى لانقل عنها قيمة وترجمت للشعراء والاعلام الذين وردوا في نص الكتاب ، ولايمكن ان نغفل الجهد الرائع الذي بذلته في تحقيق نسبة الكتاب الى المؤلف وعرض مادته وتصحيح الاخطاء التي شاعت حوله ، الا ان هناك بعض المآخذ التي يمكن ان نلاحظها في هذا العمل ، لكن الذي اقوله ان هذه المآخذ لا تؤثر في قيمة العمل الذي سيظل محمودا وفي ذلك الجهد الذي سيبقى مشكورا :

١ ـ ظلت طائفة كبيرة من الابيات مجهولة القائل ، وقد احصيت الابيات التي جهل قائلها فوجدتها تربو على ( ١٢٥ ) بيتا .

٢ ـ ترجمت المحققة لاناس مشهورين شعراء وغير شعراء ، فترجمت مثلا للفرزدق وجرير والاخطل ،وقبله لامرىء القيس والاعشى والنابغة الذبياني بل ترجمت مثلا لعلي بن ابي طالب مما اثقل الهوامش بمادة لافائدة فيها وكان هذا الكتاب قد وجه للمبتدئين ، ولم تكتف المحققة بهذا بل تعدته الى انها كانت تشير الى اسم الشاعر في كل مرة يرد اسمه في النص ، فاذا اورد المؤلف بيتا لامرىء القيس مثلا فانك تجدها تشير في الهامش الى انه الشاعر الجاهلي المشهور وتشير الى الصفحة التي ترجمت له فيها وهكذا في كل الصفحات .

٣ ـ كانت تاخذ برواية واحدة في شرح المفردات او وجوه الاعراب وكان من المفروض ان تشير الى الاراء المختلفة، ففي ص ٤٦٥ مثلا عندما شرحت معنى الكلمة اللود اكتفت بانه ما بين الثلاث الى العشر ، ورواية اللسان ١٦٨/٢ انه بين الثلاث الى التسع وقيل بين ٣ـ١٥ وقيل ما بين الثلاث الى الثلاثين وقيل ما بين الثنتين الى التسع ، وانت تراها شرح كلمة الظلالة بانها لباس تعلم به المراة عجيزتها ولو رجعت الى اللسان ٥٠٢/١١ لما وجدت هذا المعنى ، وفي فقه اللغة للثعالبي ٣٦١ ان ما تعلم به المراة عجيزتها هو الرفاعة وانشد « عراض القطا لايتخذن الرفايعا » .

٤ ـ في ص ٢٤٤ حول بيتين ذكرهما المعري كان ينبغي ان تشير الى اختلاف روايتها في اللسان ٢٣/١٠ .

٥ ـ عملت المحققة فهارس مفصلة لاسماء الاعلام والابيات الشعرية والامثال واسماء القبائل والجماعات واسماء الكتب ، لكنها اغفلت فهارس الايات والاحاديث التي لا تقل اهمية عن غيرها من المواد .